

# القيم الأخلاقية

# في خطاب الصحابة العقدي

**إعداد**

**الأستاذ الدكتور: مختار محمود أحمد عطا اللّه**

أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

البريد الإلكتروني: dratallah٤٠@hotmail.com

## الملخص

الصحابة رضوان الله عليهم قد خلفوا فيما خلفوا من تراث فكري وأدبي حملته جملة من الأقوال التي نقلت عنهم؛ خلفوا دروسا عميقة المأخذ بليغة الأثر عظيمة القيمة، وذلك في شتى فروع المعرفة الدينية والعقائدية منها على وجه الخصوص، ويهدف البحث إلى بيان أن الصحابة لهم من بين ما لهم من أياد بيضاء على البناء الحضاري جهدا متميزا في بناء الإنسان الأخلاقي الذي هو عماد كل حضارة، وكذلك بلورة ما وجد لدى الصحابة من تقريرات أخلاقية وقيمية باعتبارها واحدة من أهم إسهاماتهم في التكوين المتميز للإنسان المسلم، ويكشف البحث–أيضا– عن قواعد تفكير الصحابة الأخلاقي ومقاصده في إطار العقائد الإيمانية، وأما منهج البحث الذي اعتمد عليه، فقد استخدم البحث المنهج الوصفي، والمنهج الاستنباطي. فأما الوصف ففي تناول أقوال الصحابة المتضمنة للربط المباشر بين العقيدة والقيم الأخلاقية سواء في التجليات الأخلاقية للعقيدة، أو في المحددات العقدية للأخلاق. وأما الاستنباط ففي قراءة أقوال الصحابة في العقيدة قراءة مقاصدية تهدف إلى استنباط المرامي الأخلاقية للخطاب العقدي، وقد اعتمد البحث–أيضا– على الأعمال العلمية التي جمعت أقوال الصحابة في العقائد، وصحتْ نسبتها إليهم، واتخذ مجموع تلك الأقوال مادة له، مع مراجعة ما هو بحاجة للمراجعة منها في مظانه من كتب السنة والتفسير والسيرة والتاريخ. ، وتوصل البحث إلى أن أقوال الصحابة في العقيدة مثلت رافدا من روافد بناء النظرية الأخلاقية في الثقافة الإسلامية وتطبيقاتها الحضارية، وكذلك إلى أن الصحابة هم أول من عبروا بعمق عن تأسيس الأخلاق على العقيدة، وهو ما عرف لاحقا في الحضارة الغربية الحديثة عند كانط مثلا في كتابه ( أسس ميتافيزيقا الأخلاق)، وأيضا توصل البحث إلى أن من إبداعات الصحابة في مجال فلسفة الأخلاق إثبات أن دلالة انطواء النفس على القيمة مع الالتزام الخلقي بمقتضياتها من الأمارات الحاسمة على صحة المعقد، والعكس صحيح، والصحابة استطاعوا بثاقب فكرهم أن يستخرجوا في خطابهم العقدي كثيرا من المضامين العقدية من القيم الأخلاقية، في ربط بديع بين العقيدة والأخلاق من باب النظرة البَعدية.

الكلمات المفتاحية: القيم، الأخلاقية ، خطاب، الصحابة، العقيدة

# Moral values in the creedal discourse of the Companions

Mukhtar Mahmoud Ahmed Atallah

Department of Islamic Philosophy, Faculty of Dar Al Uloom, Cairo University, Egypt

Email: dratallah٤٠@hotmail.com

**Abstract:**

The Companions, may God be pleased with them, left what they left from an intellectual and literary heritage that was carried by a number of sayings that were transmitted from them; They left deep lessons with eloquent impact of great value, in various branches of religious and ideological knowledge, including them in particular, and the research aims to show that the Companions have among their white hands on the civilized construction a distinguished effort in building the moral human being who is the mainstay of every civilization. As well as crystallizing the ethical and value reports found by the Companions as one of their most important contributions to the distinguished formation of the Muslim human being, The research also reveals the rules and purposes of the moral thinking of the Companions within the framework of faith beliefs. As for the description, it deals with the sayings of the Companions that include a direct link between the belief and moral values, whether in the ethical manifestations of the belief, or in the dogmatic determinants of morals. As for deduction, in reading the sayings of the Companions on belief, an intentional reading that aims to elicit the moral goals of the doctrinal discourse. To review them in his thoughts from the books of the Sunnah, interpretation, biography and history , The research concluded that the sayings of the

Companions on belief represented a tributary of building the moral theory in Islamic culture and its civilized applications, as well as that the Companions were the first to express in depth the foundation of ethics on belief, which is what was later known in modern Western civilization when Kant, for example, in his book ( The foundations of the metaphysics of morals), and the research also found that among the creations of the Companions in the field of moral philosophy was to prove that the significance of the self-involvement in value with moral commitment to its requirements of the decisive signs on the validity of the complex, and vice versa, and the Companions were able to pierce their thought to extract in their creedal discourse a lot of implications Doctrine is one of the moral values, in a wonderful link between faith and morals from a dimensional view.

Keywords: values, morality, discourse, companions, belief

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

**وبعد**

فيتناول هذا البحث واحدة من أهم مظاهر التأثير الحضاري لجيل الصحابة رضوان الله عليهم في مجال بناء الإنسان، وهو التأثير القيمي التجريدي والأخلاقي العملي، وذلك من خلال ربطهم بين القيم الأخلاقية نظرا وتطبيقا من جهة وما استعبد الله المسلم من عقائد من جهة أخرى.

فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد خلفوا فيما خلفوا من تراث فكري وأدبي حملته جملة من الأقوال التي نقلت عنهم؛ خلفوا دروسا عميقة المأخذ بليغة الأثر عظيمة القيمة، وذلك في شتى فروع المعرفة الدينية والعقائدية منها على وجه الخصوص، وهذا إذا نظرنا إلى أقوالهم في مسائل العقيدة وما أثر عنهم في تقرير العقائد الإسلامية وكذلك في الاستدلال عليها، والأهم وفق اهتمامنا في هذا البحث: في ربط مسائل الإيمان وقضايا العقيدة بالقيم الأخلاقية وبالسلوك الإسلامي المطبّق لتلك القيم على أرض الواقع في حياة الناس اكما يحيونها في ظل هدي الإسلام.

ومن هنا مثل مشكلة البحث التساؤل الرئيسي التالي: كيف استطاع الصحابة في خطابهم العقدي أن يربطوا بين القيم الأخلاقية والعقيدة؟

وقد تفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية أخرى، هي: هل استطاع الصحابة في شرحهم وتقريرهم للعقيدة أن يبرزوا العقائد الإيمانية كأحد محددات ومؤسسات الإيمان بالقيم الأخلاقية حسنا وقبحا؟ وهل استطاع الصحابة في خطابهم العقدي أن يبرزوا القيم الأخلاقية كأحد تجليات الاعتقاد السليم بمسائل الإيمان؟ هل تقرر في خطاب الصحابة العقدي مقاصد عقدية للقيم الأخلاقية؟

**وتتلخص أهمية الموضوع في النقاط الآتية**:

١. بيان أن الصحابة لهم من بين ما لهم من أياد بيضاء على البناء الحضاري جهدا متميزا في بناء الإنسان الأخلاقي الذي هو عماد كل حضارة.

٢. بلورة ما وجد لدى الصحابة من تقريرات أخلاقية وقيمية باعتبارها واحدة من أهم إسهاماتهم في التكوين المتميز للإنسان المسلم.

٣. الكشف عن قواعد تفكير الصحابة الأخلاقي ومقاصده في إطار العقائد الإيمانية.

وقد انطلق البحث من مسلمات أربعة هي:

١- حجية أقوال الصحابة في العقيدة، وما بنيت عليه من قواعد، وما تضمنته من مقاصد، وذلك لما أجمعت عليه الأمة من أنهم أعلم الناس بمراد الله مما استعبدنا به من عقائد وشرائع وأخلاق.

٢- أن الصحابة امتلكوا من الطلاقة التفكيرية والطلاقة التعبيرية ما جعل أقوالهم في مسائل الاعتقاد مشحونة بغايات عظمى منطوقة أو مفهومة، وفي صدارتها ما يتصل بالقيم الأخلاقية.

٣- أن الصحابة في خطابهم العقدي قد استفادوا من القرآن الكريم في الربط بين العقيدة والقيم الأخلاقية بالاعتبارات الثلاثة: العقيدة أساس للقيم الأخلاقية –القيم الأخلاقية ناتج حتمي للعقيدة الصحيحة وأمارة عليها–العقيدة إحدى مقاصد المطالب الأخلاقية.

أما منهج البحث الذي اعتمد عليه هذا البحث، فقد استخدم البحث المنهج الوصفي، والمنهج الاستنباطي. فأما الوصف ففي تناول أقوال الصحابة المتضمنة للربط المباشر بين العقيدة والقيم الأخلاقية سواء في التجليات الأخلاقية للعقيدة، أو في المحددات العقدية للأخلاق. وأما الاستنباط ففي قراءة أقوال الصحابة في العقيدة قراءة مقاصدية تهدف إلى استنباط المرامي الأخلاقية للخطاب العقدي.

وقد اعتمد البحث على الأعمال العلمية التي جمعت أقوال الصحابة في العقائد، وصحتْ نسبتها إليهم، واتخذ مجموع تلك الأقوال مادة له، مع مراجعة ما هو بحاجة للمراجعة منها في مظانه من كتب السنة والتفسير والسيرة والتاريخ. فاستقرأ من أقوال الصحابة في مسائل الاعتقاد (٧٠٥) قولا

هي ما تحقق الباحثون من صحة نسبتها لأصحابها من الصحابة، وذلك من بين (١٣٧٠) قولا منسوبا إليهم.

مع ملاحظة أن ما ورد بهذا البحث من هذه الأقوال لا يعدو أن يكون نماذج للتمثيل من بين الكثرة الكاثرة من الأقوال المنسوبة للصحابة في العقيدة.

**وبعد**، فقد رصد البحث العلاقة بين العقيدة والقيم الأخلاقية في الخطاب العقدي لدى الصحابة من خلال ثلاثة محاور:

## المحور الأول: العقيدة أساس للقيم الأخلاقية

حيث أورد الصحابة في خطابهم العقدي ما يتقرر به من الأقوال أن الأخلاق وخاصة في جانبها القيمي تتأسس بين ما تتأسس عليه على العقائد الإيمانية، لا سيما ما يتصل بالأصل الأول من أصول الإيمان وهو مسمى الإيمان والإسلام والإحسان، وما يتدخل في تحديد ماهية كل واحد منها. وقد تم تحديد ثلاثة مرتكزات لبلورة هذا المحور، وهي:

### ١-الإيمان ودوره في بناء الفضائل الأخلاقية:

فقد قرر الصحابة في خطابهم العقدي أن ثمة من القيم الأخلاقية ومن تطبيقاتها العملية ما لا يكون إلا بقاعدة إيمانية راسخة، فبينوا أن للإيمان دورا آخر يضاف إلى تلك الأدوار التي اعتاد المصنِّفون فبي علم العقيدة تحريرَها، وغالبا ما تكون تحت عنوان أثر الإيمان في حياة المسلم، هذا الدور هو التأسيس للأخلاق الحميدة والفضائل المحمودة عقلا وشرعا، وبناء تلك الفضائل على المفهوم العقدي معرفةً وعلما وعلى الشعور العقدي التزاما وفعلا.

فها هو الإمام علي رضي الله عنه يضع قاعدة إيمانية من أعمال القلوب، وهي ترقب الموت والخوف من لقاء الله تعالى باعتباره منطلقا لأعمال الجوارح الخيرية، وذلك في قوله: "من ارتقب الموت سارع إلى الخيرات."[١]

ومما يبين دور الإيمان في بناء الفضائل الأخلاقية قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إن العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة، حتى إذا تيسر له فينظر الله إليه من فوق سبع سماوات،

[١]) أخرجه اللالكائي (١٥٠)، وأبو عمر العدني في كتاب الإيمان (٥١)، ص ١١٨. ويراجع في توثيق أقوال الصحابة المتصلة بالعقيدة: رسالة الدكتوراه المقدمة من الباحث: هشام إسماعيل علي الصيني، بعنوان (اقوال الصحابة المسندة في مسائل الاعتقاد – جمع ودراسة وتحقيق) في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، بإشراف الدكتور أحمد سعد الغامدي، ١٤١٩هـ.

فيقول للملك: اصرفه عنه، قال: فيصرفه، فيتظنَّى بحيرته: سبقني فلان، وما هو إلا الله." [1] ففيه غرس لقيمة الرضا بفوت الخير المظنون، وذلك تأسيسا على الاعتقاد بأن الله تعالى هو الذي فوته عليه بصرفه عنه لغيره.

وفي موقف أخلاقي آخر يقرر عبد الله بن مسعود أثر الإيمان في تكوين فعل المسلم إزاءه، فيقول: "ما تصدق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الرب قبل أن تقع في يد السائل، وهو يضعها في يده. قال وهو في القرآن؛ فقرأ عبد الله {أَلَمْ يعلَموا أَنَّ اللَّه هو يقْبل التَّوبة عن عِباده ويأْخذُ الصَّدَقَات وأَنَّ اللَّه هو التَّوَّاب الرَّحيم} [2] التوبة ١٠٤. فإن التيقن – وفق ما يعلمنا ابن مَسعود هنا – بمستقَر الصدقة، والإخلاصَ في سوقها إلى مستقرها – وهو وجه الله تعالى – هو المؤثر في السلوك والمتحكم في بناء فضيلة الإتقان عند الإنفاق مما هو محبَّب للنفس وعلى الوجه الأحسن.

ونجد عند أبي الدرداء رضي الله عنه ما يؤكد هذا المعنى المهم في عمومه العقدي، حيث يقول: " إذا قضى الله قضاء أحبَّ أن يُرضَى بقضائه." [3]؛ فالنظر إلى قضاء الله بمنظور عقدي يبرز أمام ناظري المسلم مكانة محبة الله للرضا بقضائه، فتدفعه هذه الرؤية إلى الرضا باعتباره مرادا عقديا لله تعالى.

ونستدل على هذا الفهم كذلك بقول عبد الله بن مسعود: "ينتهي الإيمان إلى الورع، ومن خبر الدين لا تزال تاليا باكيا من ذكر الله، ومن رضي بما أنزل الله من السماء أُدخل الجنة إن شاء الله، ومن أراد الجنة لا شك فيها فلا يراقب في الله لومة لائم." [4]؛ حيث قرر فيه أن قيم الورع والخشية والذكر والرضا والمراقبة هي ما تأسس على الإيمان ومثّل غاية الإيمان وسدرة منتهاه.

ويقدم عبد الله بن عمرو جملة من القيم الخلقية مبينا أنها مبنية على الإيمان ومؤسسة عليه. يقول عبد الله بن عمرو: "لا يؤمن العبد كل الإيمان حتى لا يأكل إلا كسبا ويتم الوضوء في المكاره، ويضع الكذب ولو في المزاحة." [5]، فالفضائل المذكورة هنا وهي الأكل من كدِّ اليد، وإسباغ

[1] أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية، ص ٢٦. وراجع: الصيني، السابق، ٣/ ١٠٤٢.

[2] أخرجه ابن المبارك في الزهد (٦٤٧). والطبراني في الكبير (٨٥٧١).

[3] أخرجه ابن المبارك في الزهد . زيادات أبي نعيم . (١٢٤).

[4] أخرجه اللالكائي (١٧٠٥).

[5] أخرجه عبد الله بن وهب في جامعه (٥٤٥).

الوضوء، وهجران الكذب، هي أخلاق عملية مؤسسة على الإيمان بدلالة تأكيده على أن ذهاب الإيمان ذهاب لتلك الأخلاق.

ونجد من الصحابة من يؤكد على محبة الله تعالى لبعض الفضائل الخلقية، ويبحث في العقيدة عن دافع عقدي يدفع المسلم لدعوة الناس إلى هذه الفضيلة، فإذا به يعلمنا أن هذا الدافع العقدي هو محبة ما يحبه الله. يقول عمر رضي الله عنه في ذلك: "ليس شيء أحبُّ إلى الله عز وجل ولا أعمُّ نفعا من حلم إمام ورفقه، وليس شيء أبغض إلى الله ولا أعم ضررا من جهل إمام وخرقه."[١]، فمحبة الله تعالى للفضيلة هي التي جعلت العبد يحبها ويدعو الناس لالتزامها، وهو موقف عقدي بامتياز.

## ٢-الإيمان ودوره في الخلاص من الرذائل الأخلاقية:

فقد قرر الصحابة أن للإيمان دورا بارزا في تخليص المسلم من الرذائل سواء على المستوى القيمي أو التطبيقي، وبهذا الدور يكتمل فعل الإيمان الأخلاقي بالتأسيس للفضائل من جهة، ومن جهة أخرى بالتنفير من الرذائل وهدمها ومحوها من نفس المؤمن كقيمة نظرية وكفعل سلوكي حياتي في التفاعل مع المجتمع أفرادا وجماعات.

فمن ذلك قول عمر بن الخطاب رابطا بين الإيمان وهجران رذيلة الكذب: "لا تبلغ حقيقة الإيمان حتى تدع الكذب في المزاح"[٢] فالإيمان هو المنجِّي من هذه الرذيلة، وقد يفهم من هذا الكلام أنه كلما زاد الإيمان كان هجران المسلم للكذب في كل الحالات كما لو كان في المزاح.

ومنه قول علي بن أبي طالب: "من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات."[٣]، فإتيان الشهوات وفعل المحرمات خلق ذميم يندفع بهجرانها تأسيسا على الشوق إلى الجنة والإشفاق من النار وهما مقولتان تعبران عن موقف عقدي إيماني، مما يظهر أدوار المواقف العقدية الإيمانية في الخلاص من الرذائل.

---

١) أخرجه وكيع في الزهد (١٩). وراج: الصيني، السابق، ٣/ ١٠٢٢.

٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٥٥٨١).

٣) أخرجه اللالكائي (١٥٧٠١).

ومنه قول عبد الله بن عباس: "من أراد منكم الباءة زوجناه، لا يزني منكم زان إلا نزع الله منه نور الإيمان، فإن شاء رده وإن شاء أن يمنعه منعه."[1]، فنور الإيمان صارف عن رذائل أخلاقية مثل الزنا.

ويؤكد أبو هريرة المعنى نفسه مضيفا أهمية قيمة خلقية مع الله وهي التوبة والإنابة في تثبيت العقيدة والكشف عن مدى ثباتها واستقرارها في القلب، وذلك في قوله: "الإيمان نزهٌ فمن زنا فارقه الإيمان، فمن لام نفسه وراجع راجعه الإيمان."[2]

وكما فهمنا من تأكيد الصحابي على محبة الله تعالى لبعض الفضائل الخلقية، ورأيناه يبحث في العقيدة عن دافع عقدي يدفع المسلم لدعوة الناس إلى هذه الفضيلة، وعرفنا أن هذا الدافع العقدي هو محبة ما يحبه الله؛ وجدنا في الموقف العقدي نفسه ما ينفر المسلم من الرذائل، وذلك من قول عمر رضي الله عنه: "ليس شيء أحب إلى الله عز وجل ولا أعم نفعا من حلم إمام ورفقه، وليس شيء أبغض إلى الله ولا أعم ضررا من جهل إمام وخرقه."[3]، فبغض الله تعالى للرذيلة هي التي جعلت العبد يبغضها ويدعو الناس لاجتنابها.

### **٣-الإيمان ودوره في الإلزام الخلقي**:

المقصود بالإلزام الخلقي البحث عن الدافع أو مجموعة الدوافع والدواعي التي تحمل الإنسان على فعل الخلق الحسن واجتناب الخلق القبيح، وقد نشأت للإجابة عن سؤال الإلزام الخلقي عدة نظريات معروفة في فرع من الدرس الفلسفي يعنى بمثل هذه القضية، وهو فلسفة الأخلاق.

وقد تعددت النظريات الفلسفية المفسرة لأسباب التزام الكائن الأخلاقي بالفعل الأخلاقي، ففي الفلسفة الإسلامية هناك مدرستان كبيرتان، هما مدرسة (العقل) التي تتبناها المعتزلة ومن لف لفهم، ومدرسة (الشرع) التي تقول بها الأشاعرة ومن وافقهم. فالمعتزلة يرون أن العقل هو المحسِّن والمقبِّح للفعل، ومن ثم فهو مصدر معرفتنا بالحسن والقبح، والدافع لنا لالتزام الحسن وتجنب القبيح، أما الأشاعرة فيرون أن الأمر والنهي الواردين في النص الشرعي هما مصدر معرفتنا بحسن الحسن إذ أمرنا الله بفعله، وبقبح القبيح إذ نهانا عنه. [4]

---

[1]) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان (٩٤)، والآجري في الشريعة (٢٢٨).

[2]) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان (١٦)، وفي المصنف (١٠٤٧٠).

[3]) أخرجه وكيع في الزهد (١٩).

[4]) انظر في ذلك: د. أحمد محمود صبحي، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي. العقليون والذوقيون، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م. ود. عادل ضاهر، الأخلاق والعقل، دار الشروق، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

ودارت النظريات الفلسفية الغربية حول هاتين المدرستين، مع نوع من الاختلاف في التفاصيل، وقد أضاف بعض فلاسفة الغرب نظريات أخرى، مثل نظرية الضمير لبتلر والواجب لكانط، والمنفعة لويليم جيمس، وغيرها. [١]

ونحن هنا أمام ربط متميز بين الإلزام الخلقي والعقيدة، وهذه إحدى تجليات العمق الفكري والتوقد الذهني للصحابة رضوان الله تعالى عليهم. فإن البحث يؤكد أن الإلزام الخلقي – وفق ما يقرره الصحابة في خطابهم العقدي – نابع من العقيدة ، ويمكننا أن نجد هذا في مثل قول أبي الدرداء: "إن أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويُساؤون، قال أبو الدرداء: اللهم إني أعوذ بك من عمل يخزى به عبد الله بن رواحة."[٢]، فإن الملْجِم له عن فعل القبائح إيمانه بهذه العقيدة المتصلة بحياة البرزخ، فجاء الإلزام الخلقي من عقيدة قلبية في مسألة من مسائل الغيب. ونجده كذلك في قول عبد الله بن عمرو بن العاص: "لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن حيث نزل، له دوي كدوي النحل، يقول: يا رب منك خرجت وإليك أعود، أُتلى ولا يُعمل بي، أُتلى ولا يُعمل بي."[٣]، ففيه بيان أن إيمان العبد بأشراط الساعة مجلبة للتوقِي مما يكتنفها من شرٍ مخافة أن تصيبه.

### **المحور الثاني**: **القيم الأخلاقية من تجليات العقيدة وأماراتها**:

حيث تقرر في أقوال الصحابة في العقيدة أن ظهور القيم في صورة أفعال أخلاقية مما يصح الاستدلال به على ما في باطن الإنسان من العقائد وما يتخذه من مواقف نفسية من مسائل الإيمان، وتأتي أهمية هذا المبحث من الخطورة والندرة التي تتسم بهما والقرائن ظاهرة والمظاهر البادية التي يمكن الاستناد إليها في الحكم على العقائد الباطنة في قلب الإنسان.

من هنا كانت أهمية ما قرره الصحابة من أن الأفعال الأخلاقية ترقى لتكون واحدة من أدل الدلائل على معتقد الشخص.

وقد حدد البحث ثلاثة مرتكزات لبلورة هذا المحور، وهي:

---

[١]) انظر: د. مختار عطا الله، الاتصاف الذاتي للفعل الخلقي بين المعتزلة وكانط، ضمن كتاب (بين الفكر الغربي والإسلامي. بحوث ودراسات)، دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠٠٤م، ود. توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق. نشأتها وتطورها، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨م. وأندريه كرسون، الأخلاق في الفلسفة الحديثة، ترجمة د. عبد الحليم محمود، الجمعية الفلسفية المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.

[٢]) أخرجه ابن المبارك في الزهد – زيادات أبي نعيم (١٦٥).

[٣]) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية، ص١٠٠.

## الفضائل الأخلاقية ودلالتها على الإيمان:

نظر الصحابة إلى القيم الخلقية باعتبارها دلالات على مكنون الإيمان الذي لايظهر بذاته، وإنما يحتاج إلى أمارات تدل عليه، وقد نبه أبو الدرداء على حتمية ظهور علامات الإيمان على مظهر العبد وسلوكه إذا كان الإيمان صادقا. يقول أبو الدرداء في ذلك عندما دخل المدينة: "ما لي لا أرى عليكم أهل المدينة حلاوة الإيمان؟ والذي نفسي بيده لو أن دُبَّ الغابة طعم الإيمان لرُئيَ عليه حلاوة الإيمان."[1].

ويبين عبد الله بن عباس أن طعم هذه الحلاوة لا يتأتى للعبد إلا إذا تمكنت القيم الحسنة من نفسه تمكنا يؤدي حتما إلى ظهور أثرها العملي في سلوكه، وبيَّن أن واحدة من هذه القيم إقامة العبد العلاقة بينه وبين الناس على وفق ما يرضي الله تعالى وينتصر به دينه، وليس على ما يمليه هوى نفسه من المحبة والكراهة. يقول ابن عباس في ذلك: "أحِبَّ في الله وأبْغضْ في الله، ووالِ في الله وعادِ في الله؛ فإنما تنال موالاة الله بذلك. ولن يجد عبد طعم الإيمان ولو كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك."[2]، ويقرر عبد الله بن مسعود أهمية هذه القيمة نفسها في الدلالة على الإيمان، فيقول: "إن الإيمان أن يحب الرجلُ الرجلَ ليس بينهما نسب قريب ولا مال أعطاه إياه لا يحبه إلا لله."[3]

وقد أعطانا عمر بن الخطاب درسا في الفضائل الأخلاقية ودلالتها على الإيمان عندما تواضع فطأطأ رأسه وهو يصغي لامرأة لا لشيء إلا لأنه يؤمن أن الله تعالى سمع قولها من فوق سبع سماوات، فكان من علامات إيمانه هذا ما فعله معها، فقد روى أبو اليزيد المدني قال: "لقيتْ امرأة عمر، يقال لها خولة بنت ثعلبة، وهو يسير مع الناس، فاستوقفته، فوقف لها، ودنا منها، وأصغى إليها رأسه حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين؛ حبست رجالات قريش على هذه العجوز؟ فقال: ويلك، وهل تدري من هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة. والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها، إلا أن تحضر صلاة فأصليها، ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها."[4]،

---

[1]) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٤٧)، وابن بطة في الإبانة (١٠٥٤).

[2]) أخرجه الخلال في السنة (١٤١٢)، وابن جرير في تفسيره (١٢٠٦١).

[3]) أخرجه الخلال في السنة (١٢٠٥)، والطبراني في الكبير (٨٩١٩).

[4]) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٥٣) وابن أبي شيبة في المصنف (١٦٦١٩).

فسلوك عمر هنا دال على إيمانه العميق بسماع الله تعالى لها، وبما يترتب على هذا الإيمان من فضائل يجب التزامها.

ويبين عبد الله بن عباس الارتباط الوثيق بين الإيمان وما يصدر عن المرء من أفعال، ودلالة ما يصدر عنه من الفضائل على مكنونات قلبه، قال ابن عباس في قوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}الأنفال ٢ قال: "المنافقون لَا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء الفرائض، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون على الله، ولايصلون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله سبحانه أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} يريد فأدوا فرائضه، {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} يقول: تصديقا، {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} يقول: لَا يرجون غيره."[١]

ومن ذلك قول عبد الله بن عمرو بن العاص: "ومن كان إذا حدث صدق، وإذا ائتمن أدى، وإذا وعد أوفى؛ فلا تتحرج أن تشهد أنه مؤمن."[٢]، وفي موقف آخر يؤكد هذا المعنى ويضيف إليه تجليات أخرى للإيمان على القيم الخلقية التي يبطنها في نفسه، وذلك عندما سأله رجل قائلا: يابن عمر، ما المنافق؟ قال: "المنافق الذي إذا حدث كذب، وإذا وعد لم ينجز، وإذا اؤْتُمِن لم يؤدِّ، يأمن من أمسى بعقوبته من عارف أو منكر."[٣]

ويبين الصحابة مكانة صنف من الفضائل في الدلالة على الإيمان، ألا وهو ترك المنكرات، والامتناع عن الوقوع فيما هو قبيح مخافة الله تعالى، فهذا باب واسع من الفضائل له ما له من الدلالة على ما في قلب المرء من الإيمانيات. فمن ذلك عدم مخافة لومة الناس في الله، فيقرر حذيفة بن اليمان هذا المعنى من خلال توفر قيمة حسنة وهي عدم المبالاة بلوم اللائمين عند قول الحق، وذلك في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستدلاله بذلك على إيمان الفاروق، يقول حذيفة: " لأن أعلم أن فيكم مائة مؤمن أحبُّ إلي من حمر النعم وسُودها، فقالوا: أما بهاجرتنا ولا بشامنا ولا بعراقنا مائة؟ قال: فيكم رجل لا يخاف في الله لومة لائم، ما أعلمه إلا عمر بن الخطاب رحمه الله، فكيف أنتم لو قد فارقكم _ أي هذا الخلق _ ثم بكى حتى سالت دموعه على لحيته أو على سابلته."[٤]

١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥٦٩٥)، واللالكائي (١٦٠٢).

٢) أخرجه عبد الله بن وهب في جامعه (٥٤٨).

٣) أخرجه الخلال في السنة (١٦٥١).

٤) أخرجه الخلال في السنة (١٤٩٣)، والطبراني في الكبير (٨٧٩٠).

ومن هذا الصنف من الفضائل ماعدده عبد الله بن مسعود وجعله آية على إيمان المؤمن، وذلك في قوله: "ثلاث من كن فيه يجد بهن حلاوة الإيمان: ترك المراء في الحق، والكذب في المزاحة، والعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه."[1]، ومنه قول أبي ذر الغفاري: "من استحقاق حقيقة الإيمان ترك المراء، والمرء صادق."[2]

وقد جعل الصحابة الحلف بالله وحده في كل الأحوال والظروف والمواقف من الفضائل التي تدل على تمسك المسلم بالتوحيد الخالص النقي المبرأ من كل شائبة شرك، يؤكد ذلك عبد الله ابن مسعود فيقول: "لأن أحلف بالله كاذبا أحبُّ إلي من أن أحلف بغيره صادقا."[3]

## ٢-**الرذائل الأخلاقية ودلالتها على نقيض الإيمان**:

وبالمقابل أبرز الصحابة في خطابهم العقدي وجها من وجوه الارتباط بين الأخلاق والعقيدة من باب دلالة الأخلاق على العقائد، وهو ما تشير إليه الرذائل الأخلاقية من استبطان المرء لعقائد فاسدة، أو انطواء نفسه عى خلل في الاعتقاد، أو تأسيس إيمانياته على وهن في اليقين. من ذلك قول أبي بكر الصديق: "إياكم والكذب فإن الكذب مجانب الإيمان."[4] فالكذب البادي على اللسان أحد تجليان خلو الجوف من الإيمان، ويؤكد المعنى نفسه قول عبد الله بن مسعود: "اعتبروا المنافق بثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر. ثم قرأ عبد الله {وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ} [5] التوبة ٧.

وقد جعل أبو بكر الصديق أحد السلوكيات القبيحة من الكفر، وهو نفي نسب حقيقي أو ادعاء نسب كذبا، ونفهم بالضرورة أنه لا يحكم بالكفر على من يفعل هذا، وإنما يجعل مثل هذا السلوك القبيح علامة على نوع من أنواع نواقض الإيمان، وهو الكفر الأصغر الذي هو بخلاف الكفر الأكبر الذي يخرج من الملة. يقول أبو بكر: "كفرٌ بالله انتفاء من نسب وإن دق، وادعاء نسب لا يعرف."[6]، ويتخذ صحابي آخر هو عبد الله بن مسعود من سلوك قبيح آخر علامة على هذا النوع

---

[1]) أخرجه معن بن راشد في جامعه (٢٠٠٨٢)، والطبراني في الكبير (٨٩٠٢).

[2]) أخرجه هناد في الزهد (١١٥٦).

[3]) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥٩٢٩)، والطبراني في الكبير (٨٩٠٢).

[4]) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧٣٦).

[5]) أخرجه الطبراني في الكبير (٩٠٧٥)، وابن أبي شيبة (٥٦٦٣)، ووكيع في الزهد (٤٠٠ و٤٧٢).

[6]) أخرجه الدارمي في السنن (٢٨٦٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٦٣١٥). وانظر كلاما مطابقا لهذا القول لعبد الله بن مسعود في السنة للخلال (١٥٢٩).

نفسه من الكفر، مؤكدا ما ذهب إليه الصديق. فقد سُئل عبد االه بن مسعود عن الرشوة، فقال: "هي السحت. قيل: في الحُكم ذلك؟ قال: ذلك كفر. ثم تـلا هذه الآيـة {ومن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّه فَأُولَئِكَ هم الْكَافِرونَ}[1] المائدة ٤٤ . وقد أدخل غير واحد من الصحابة كثيرا من الرذائل الأخلاقية في الدلالة علىَ هذا النوع من الكفر، فها هو جرير بن عبد الله البجلي يُدخل فيه الكبرياء والتعالي على الناس بغير حق وهو المعروف بالأنفة، يقول جرير: "مع كل أنفة كفر."[2]، وها هو عبد الله بن عباس يُدخل فيه إتيان المرأة من دبرها، فقد سئل عن الذي يأتي امرأته في دبرها، فقال: "هذا يسألني عن الكفر."[3]

ويُدخل غير واحد من الصحابة بعض الرذائل في الدلالة على نوع آخر من أنواع نواقض الإيمان، وهو الشرك، ولا نشك في أنه الشرك الأصغر ذلك الذي لا يخرج من الملة، فالطِّيَرَة التي هيى سلوك رذيل يعتمد فيه المرء على اتجاه الطير في اتخاذ قرار بشأن سفر ما، وهوسلوك جاهلي معروف؛ هو عند فضالة بن عبيد الأنصاري شركٌ، وخاصة إذا تصرف المرء في سفره وفقه، أي إذا حوَّل الفكرة إلى سلوك، يقول في ذلك: "من ردَّتْه الطيرة فقد قارف الشرك."[4]، والشرك هذا الذي جعل فضالة بن عبيد الأنصاري الطيرة من علاماته؛ جعل عبد الله بن عمرو من علاماته رذيلة أخرى، وهي شرب الخمر، حيث قال: "لا يشرب الخمر رجل مصبحا إلا ظل مشركا حتى يمسي."[5].

وقد بين عمر بن الخطاب أن قيمة الأمانة إذا غابت دل ذلك عى غياب الدين من قلب المسلم ووجدانه. يقول عمر: "لا يغرنك صلاة امرئ ولا صومه، من شاء صام، ألا لا دين لمن لا أمانة له."[6] ؛ فالأمانة واحدة من القيم التي يعد فقدها علامة بينة على الاختلال في الدبن والفساد في الاعتقاد. بل إن عبد الله بن مسعود جعلها أول علامات هذا الخلل من حيث الترتيب الزمني لتفلت

---

[1] أخرجه الخلال في السنة (١٤١٢)، وابن جرير في تفسيره (١٢٠٦١).

[2] أخرجه الخلال في السنة (١٤٥٤).

[3] أخرجه معمر بن راشد في جامعه (٢٠٩٥٣).

[4] أخرجه عبد الله بن وهب في جامعه (٦٥٦).

[5] أخرجه الخلال في السنة (١٤٥٨).

[6] أخرجه الخلال في السنة (١٤٩١).

الدين من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه سلم. يقول ابن مسعود: "إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وإن آخر ما يبقى من دينكم الصلاة."[١]

ومما ورد عن الصحابة في هذا الباب تخصيص بعض الرذائل بنفي أن تكون من خصال المؤمن، مما يُؤذِن معه ظهورُها بالدلالة على ما في قلب صاحبها من نقيض الإيمان، ومن أخص ذلك الخيانة والكذب، فقد جاء التأكيد على دخولهما في هذا النمط من القيم عند غير واحد من الصحابة، ومنهم سعد بن أبي وقاص، حيث قال: "كل الخلال يطبع عليه المؤمن إلا الخيانة والكذب."[٢]، ومنهم كذلك عبد الله بن مسعود، حيث قال: "المؤمن يَطْوِي الخلال كلها غير الخيانة والكذب."[٣]، ولم يرخصوا للكذب حتى لو كان مزاحا، قال عبد الله بن عمرو: "لا يؤمن العبد كل الإيمان حتى لا يأكل إلا كسبا، ويتم الوضوء في المكاره، ويضع الكذب ولو في المزاحة."[٤]

وقد حدد الصحابة نوعا من الرذائل جزموا بارتفاع الإيمان عند إتيانها، وهم بذلك يجعلونها علامة على نقيض الإيمان؛ فالقلب لا يخلو من الإيمان أو أحد نقائضه، ويأتي في مقدمة هذه الرذائل الزنى وشرب الخمر، وفي الزنى يقول عبد الله بن عباس لغلمانه: "من أراد منكم الباءة زوجناه، ولا يزني زان إلا نزع الله منه نور الإيمان، فإن شاء رده، وإن شاء أن يمنعه منعه."[٥] وفيه يقول حذيفة بن اليمان: "إني لأعرف أهل دينيْن؛ أهل ذيْنك الدينين في النار: قوم يقولون: الإيمان قول وإن زنى وقتل، وقوم يقولون: ما بال خمس صلوات وإنما هي صلاتان."[٦]، وذلك باعتبار أن الصواب نقيض قولهم، وهو أنه ليس بمؤمن من قاله ووقع في الزنى. وفي شرب الخمر يقول عبد الله بن عباس: "لا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن."[٧]؛ فقرر هنا أن ارتكاب هذه الرذيلة الخلقية دليل على ذهاب الإيمان. وفيه كذلك ما رواه قيس بن أبي أحمد عن عبد الله بن عمر، حيث قال: "إني لجالس عند ابن عمر إذ جاءه رجل من أهل الشام، قال: يا أبا عبد الرحمن إن لنا كروما وأعنابا، وإنا قد نبيع منها، قال: أي ذاك تريد؟ أما العنب فحلال، وأما الزبيب فحلال، وأما الخمر

[١]) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٩٨١).

[٢]) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٥٦٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى، ١٠/ ١٩٧، وأبو يعلى في مسنده، ٨٧/١.

[٣]) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، والطبراني في الكبير (٨٥٤٤)، ووكيع في الزهد، ٢/ ٤٧.

[٤]) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان (١٠١)، والحاكم في المستدرك (٨٣٦٥).

[٥]) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان (٩٤)، والآجري في الشريعة (٢٢٨).

[٦]) أخرجه أبو عبيد في الإيمان، ص٨١، وابن أبي شيبة في الإيمان (٦٥).

[٧]) أخرجه الخلال في السنة (١٢٧٤).

فحرام. قال: فرفع صوته يقول: اللهم إني أُشهدك، وأُشهد من حضر أني لا آمن أن يعصرها، ولا أن يشربها، ولا أن يسقيها، ولا أن يبيعها، ولا أن يهديها، فوالذي نفس ابن عمر بيده لا يشربها عبدٌ إلا نقص الإيمان من قلبه، حتى لا يبقى منه قليل ولا كثير، ولا يكون في بيت إلا كان رجسا مرتجسا منه."[١]

ونجد في أقوال الصحابة بالإضافة إلى هذه الرذائل الكبرى أنواعا أخرى منها تتعدد وتتوزع بين مجالات السلوك الخلقي المختلفة، فمنها تعليق التمائم وما يشبهها، وفي ذلك يُروى أن حذيفة ابن اليمان دخل على رجل يعوده، فوجد في عضده خيطا، قال: ما هذا؟ قال: خيط رُقي لي فيه، فقطعه، ثم قال: لو متَّ ما صليتُ عليك."[٢]، وفي نفاد صبر المؤمن يقول علي بن أبي طالب: "لا إيمان لمن لا صبر له."[٣]، وفي نفاق الولاة الذي يدل على النفاق الذي هو أحد نقائض الإيمان أمارة سلوكية عند عبد الله بن عمر، تزداد أهميتها بالنظر إلى الطبيعة الخفية للنفاق، فقد قال أناس لابن عمر: "إنا ندخل على سلاطيننا[٤]فنقول لهم خلاف ما نتكلم به بعد خروجنا من عندهم. قال: كنا نعدها نفاقا."[٥]

### ٣-القيم الأخلاقية مكونة للصرح العقدي:

ويقصد به أن مفهوم الإيمان اتسع عند الصحابة ليشمل فيما يشمل القيم الخلقية، حيث أدخلوها في العناصر المكونة لماهية الإيمان وكنهه، خروجا عما ألفه الناس من اعتبار الإيمان عملا قلبيا محضا عند النظر إلى حده وماهيته. وتُعد هذه الإضافة مرتكزا لرابط جديد من روابط العقيدة بالأخلاق في الخطاب العقدي للصحابة.

ونمثل هنا لاعتبار الصحابة القيمَ الأخلاقية مكونةً للصرح العقدي بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أوصى عبد الله ابنه عند الموت، فقال: "يا بني عليك بخصال الإيمان. قال: وماهن يا أبت؟ قال: الصوم في شدة أيام الصيف، وقتل الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي، وتعجيل الصلاة في يوم الغيم، وترك ردغة الخبال. فقال: وما

---

١) أخرجه اللالكائي برقم (١٧٢٢).

٢) أخرجه الخلال في السنة (١٤٨٢ و١٦٢٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥١٤).

٣) أخرجه معمر بن راشد في جامعه (٢١٠٣١)، وأبو عمر العدني في كتاب الإيمان (١٩).

٤) في المطبوع (سلطاننا).

٥) أخرجه البخاري (٦٧٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٤٣٨).

ردغة الخبال يا أبت؟ قال: شرب الخمر."[1] فقد جعل من بين مكونات (خصال) الإيمان أحد أهم الفضائل الخلقية، وهو الصبر على المصيبة، فلم يكن ضم هذه الفضيلة لما ذكره من فرائض الإسلام إلا استشعارا منه – رضي الله عنه – بأنها مكون للإيمان يتساوى في أهميته مع الصلاة والصوم والجهاد.

وقد جعل علي بن أبي طالب من بين الأسس التي يقوم عليها الإيمان بعض القيم الخلقية، وذلك في قوله: "الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والجهاد والعدل."[2] ، وقدم لنا صورة تفسيرية لهذا البناء، توضح كيف يكون الصبر ركيزة الإيمان، يقول علي: "الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان."[3]، ونلتقي مع عبد الله بن مسعود بالمعنى نفسه في قوله: "الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله."[4]، وعند أبي الدرداء الصبر هو ذروة الإيمان ضمن أربع خلال، يقول أبو الدرداء: "ذروة الإيمان أربع خلال: الصبر للحكم، والرضا بالقضاء، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب. ولولا ثلاث خلال صلُح الناس: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه."[5]

ومن بين هذه القيم ما ذكره عمر في قوله: "عرى الإيمان أربع: الصلاة والزكاة والجهاد والأمانة."[6]؛ فإنه جعل الأمانة ضمن المعمار المفاهيمي للإيمان، وما ذكره عمار بن ياسر في قوله: "ثلاث من جمعهن جمع الإيمان: الإنصاف من نفسه، والإنفاق من الإقتار، وبذل السلام للعالم."[7]؛ فقد أدخل في مفهوم الإيمان عددا من القيم الأخلاقية :الإنصاف والكرم ونشر السلام.

ويدخل في مكون الإيمان عند بعض الصحابة قيم أخرى تتنوع وتتوزع بين مجالات الأخلاق المختلفة، نذكر منها الحياء، فقد جعله عبد الله بن عباس قرينا للإيمان لا يوجد أحدهما بدون

---

[1]) أخرجه ابن سعد في الطبقات، ٣٥٩/٣.

[2]) أخرجه اللالكائي (١٥٧٠)، وأبو عمر العدني في كتاب الإيمان (٥١) ص١١٨، والبيهقي في الشعب رقم (٣٩).

[3]) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠٤٨٨)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٠).

[4]) أخرجه وكيع في الزهد ٤٥٧/٢.

[5]) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٢٣).

[6]) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٣٠٣).

[7]) أخرجه البخاري (الفتح١٠٣/١) ووكيع في الزهد (٢٤١).

الآخر، وذلك في قوله: "الحياء والإيمان- يعني في قرن واحد- فإذا انتزع أحدهما من العبد اتبعه الآخر."[١]

ونجد التواضع والقناعة والعدل عند معاذ بن جبل تمثل ذرى الإيمان، وذلك في قوله: "لا يبلغ عبد ذرى الإيمان حتى يكون التواضع أحب إليه من الشرف، وما قل من الدنيا أحب إليه مما كثر، ويكون مَنْ أحب وأبغض في الحق سواء؛ يحكم للناس كما يحكم لنفسه وأهل بيته."[٢]

## **المحور الثالث**: **المقاصد العقدية للقيم الخلقية**:

ففي هذا المحور عمل البحث على رصد استخراج الصحابة في خطابهم العقدي للمضامين العقدية من القيم الأخلاقية، وفيه يربط الصحابة في عدة مواضع بين أمر الله تعالى بإتيان فعل خلقي من جهة وبين تقرير إحدى مسائل الاعتقاد وترسيخها من جهة أخرى. وقد تعلموا ذلك من القرآن الكريم، فقد ربط بر الوالدين بصحيح التوحيد. وأيضا ربط الصحابة بين الأمر باجتناب الفعل القبيح من جهة، وبين التنفير من إحدى المسائل المناقضة للاعتقاد الصحيح من جهة أخرى، ومن ذلك في القرآن الكريم الربط بين عقوق الوالدين والشرك بالله[٣]، وكان المقصد من ذلك تعليمنا وجوب معرفة حق سبب وجودنا علينا؛ فنعتقد في وجوب العبودية لله وحده، ونهى تعالى في المقابل عن عقوق الوالدين باعتباره قيمة خلقية قبيحة؛ لكي يعلمنا قبح التنكر لسبب وجودنا، فنعتقد في قبح نكران نعمة الله والشرك به.

### **١-المقاصد العقدية للأمر بالفضائل الأخلاقية**:

ويقصد بذلك أن من الأخلاق الحسنة التي أمر الله تعالى المسلمين بالتزامها ما ينطوي على مقاصد عقدية في صدارتها تثبيت بعض العقائد في القلب وتعويد القلب على استحضارها واستجلاب آثارها الطيبة على الفرد والمجتمع.

من ذلك الأمر بالتطبب عند المرض، فهذا من الفضائل ويتعلم المسلم من ذلك أن الطبيب الذي يثق في قدرته على الشفاء أن الله تعالى أولى بأن يشفي على الحقيقة، فيتعلم من حال الطبيب مع المرض بالرغم من محدودية علمه وقدرته أن لله مع المرض حالا تتناسب مع طلاقة علمه وقدرته،

---

١) أخرجه اللالكائي برقم (١٨٦٧).

٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٨٨ و١٨٩).

٣) في مثل قوله تعالى: {وقضى بك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} الإسراء ٢٣، وقد ورد المعنى نفسه في أكثر من موضع من القرآن الكريم. انظر على سبيل المثال: سورة البقرة الآية ٨٣، وسورة النساء الآية ٨٤، وسورة الأنعام الآية ١٥١.

فقد روى أبو السفر سعيد بن تحمد قال: "مرض أبو بكر، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني، فقال: إني فعال لما أريد."[١]

ومنه قول عمر بن الخطاب: " ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم القيامة."[٢]؛ ففيه توجيه للقضاة ومن في حكمكهم بالتزام العدل؛ لكي يعلمه أن الله تعالى سيقضي بين الناس يوم القيامة، وهو مقصود عقدي بامتياز.

ومن ذلك قول عبد الله بن عباس في فضيلة ستر العورة عن الصغار الوارد الأمر بها في سورة النور: "إن الله حليم رحيم بالمؤمنين، يحب الستر، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال، فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيمة الرجل، والرجل على أهله، فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والخير، فلم يعمل بذلك بعد."[٣]؛ فإن من أهم مردودات هذه الفضيلة تذكير المؤمن بصفة الستر في الله تعالى وهي متعلقة بصفتي الحلم والرحمة، كما صدَّر ابن عباس حديثه عن الآية عندما سئل عنها.

ومن ذلك أيضا بيان عبد الله بن مسعود لواحدة من مسائل الاعتقاد وهي الإيمان بأن لله تعالى يدا وكذلك بأن الله تعالى يعلم بصدقة المتصدق، فتُرفع إليه؛ لأنه أقرب إليه من حبل الوريد، وكلها مسائل عقدية يتعلمها المؤمن من خلق رفيع وفضيلة عظيمة ألا وهي الإحسان إلى السائل وإخلاص النية عند البذل. يقول عبد الله بن مسعود: "ما تصدق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الرب قبل أن تقع في يد السائل، وهو يضعها في يد السائل، قال: وهو في القرآن؛ فقرأ عبد الله {أَلَمْ يعلَموا أَنَّ اللَّه هو يقْبل التَّوبةَ عن عبَاده ويأْخذُ الصَّدَقَات وأَنَّ اللَّه هو التَّواب الرَّحيم}[٤] التوبة ١٠٤

## ٢-المقاصد العقدية للنهي عن الرذائل الأخلاقية:

فقد أبرز الصحابة في خطابهم العقدي أبعادا عقدية دقيقة لنهي الشرع عن بعض القبائح الأخلاقية. من ذلك قول حذيفة بن اليمان: "إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء؛ يدخل أحدكم على الأمير، فيصدقه بالكذب، ويقول له ما ليس فيه."[٥]؛

---

[١]) أخرجه ابن سعد في الطبقات، ١٩٨/٣.

[٢]) أخرجه الدارمي في الرد على بشر، ص ١٠٤.

[٣]) أخرجه أبو داود (٥١٩٢)، والبيهقي في الكبرى (١٣٣٣٧).

[٤]) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٦٤٧). والطبراني في الكبير (٨٥٧١).

[٥]) أخرجه معمر بن راشد في جامعه (٢٠٦٤٣).

فنهى رضي الله عنه عن الافتتان بمناسبة النهي عن نفاق الأمراء، والأول مقصود عقدي وقد ارتبط غائيا بالثاني وهو مقصود قيمي، وفيه يقول المسلم بلسانه ما لا يبطن في نفسه من خصال الأمراء في حضورهم، ويتحدث إليهم بخلاف ما يؤمن، فجاء النهي عن هذه الرذيلة مقرونا بمقصود عقدي للتطابق بين الحالتين.

وقريب من ذلك ممالأةُ الناس كما يعرضها عبد الله بن مسعود قيمةً قبيحةً نهى الله تعالى عنها؛ لكي يعلمنا أن هذا الخلق الذميم يؤدي إتيانه إلى إتيان نظيره العقدي وهو افتراء الكذب على الله، وفي ذلك يقول عبد الله بن مسعود: "يأتي الرجلُ الرجلَ لا يملك له ولا لنفسه ضرا ولا نفعا، فيحلف له: إنك كيت، ولعله لا يتحلى منه بشيء، فيرجع وما فيه من دينه شيء. ثم قرأ عبد الله {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا} [1] النساء ٤٩- ٥٠ ففي إيراده للآية شاهدا على مذمومية الممالأة كشفٌ عما يريد الشارع الحكيم من الربط بين الرذيلة الخلقية والآفة العقدية، وهي افتراء الكذب على الله تعالى.

ومما يمكن قراءته على نحو ما نهدف من هذا المبحث نهي عبد الله بن عباس عن رذيلة الخديعة لمقصود عقدي يبين فيه أن الله تعالى يتصف بما هو في حقه كمال وفي حق خلقه منقصة. فقد جاءه رجل فقال: إن عمه طلق ثلاثا فندم، فقال: "عمك عصى الله فأندمه، وأطاع الشيطان، فلم يجعل له مخرجا[2]، قال: أرأيت لو تزوجتها عن غير علم منه؛ أترجع إليه؟[3] فقال: من يخادع الله يخدعه الله."[4]

---

١) أخرجه عبد الله في السنة (٨٢٤).

٢) الكلام هنا عن وقوع الطلاق بالبينونة الكبرى.

٣) أي أنها تكون قد نكحت زوجا غيره.

٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٠٦٥).

## الخاتمة

**وبعد**، فقد استطاع البحث الخروج بالنتائج والمستخلصات الآتية :

**١- أن أقوال الصحابة في العقيدة مثلت رافدا من روافد بناء النظرية الأخلاقية في الثقافة الإسلامية وتطبيقاتها الحضارية.**

**٢- أن الصحابة هم أول من عبروا بعمق عن تأسيس الأخلاق على العقيدة، وهو ما عرف لاحقا في الحضارة الغربية الحديثة عند كانط مثلا في كتابه (أسس ميتافيزيقا الأخلاق) .**

**٣- أن من إبداعات الصحابة في مجال فلسفة الأخلاق إثبات أن دلالة انطواء النفس على القيمة مع الالتزام الخلقي بمقتضياتها من الأمارات الحاسمة على صحة المعقد، والعكس صحيح.**

**٤- أن الصحابة استطاعوا بثاقب فكرهم أن يستخرجوا في خطابهم العقدي كثيرا من المضامين العقدية من القيم الأخلاقية، في ربط بديع بين العقيدة والأخلاق من باب النظرة البَعدية.**

والحمد لله رب العالمين

# الفهرس

## المحتويات